بُنَاة دَوْلَةِ الإسْلام

- ٥٨ -

أَبُو ذَرٍّ الغِفَارِيُّ

جُنْدُبُ بن جُنَادَةَ

رضي الله عنه

١٢٣

أَبُو ذَرٍّ الغِفَارِيُّ

جُنْدُبُ بنُ جُنَادَةَ

كَمَا لَا تَخْلُو مَنْطِقَةٌ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّهَا لَا تَعْدَمُ قَبِيلَةٌ أَصْحَابَ عُقُولٍ يُمَيِّزُونَ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ ، وَيَرَوْنَ الخَطَأَ وَيَعْرِفُونَهُ وَيَبْتَعِدُونَ عَنْهُ وَلَوْ خَالَفُوا النَّاسَ جَمِيعاً، وَمَا أَعْتَقِدُ عَقْلاً أَحطَّ مِنْ عَقْلٍ يَتَّخِذُ مِنَ الحِجَارَةِ أَصْنَاماً يَعْبُدُهَا وَيُقَدِّمُ لَهَا القَرَابِينَ، يُحَوِّلُ الحَجَرَ بِنَفْسِهِ إِلَى تِمْثَالٍ ثُمَّ لَا يَلْبَثُ أَنْ يَجْعَلَهُ إِلَهاً يَظَلُّ لَهُ عَاكِفاً، وَيَعْرِفُ أَنَّهُ كَانَ بِالأَمْسِ حَجَراً يَبُولُ عَلَيْهِ، ثُمَّ صَيَّرَهُ إِلَهاً يُطَيِّبُهُ وَيَعْلَمُ تَمَامَ العِلْمِ أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ.

وَكَمَا رَفَضَ عِبَادَةَ الأَصْنَامِ فِي قُرَيْشٍ وَرَقَةُ بنُ نَوْفَلٍ الأَسَدِيُّ وَزَيْدُ بنُ عَمْرِو بنِ نُفَيْلٍ العَدَوِيُّ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ بنُ جَحْشٍ لِمَا رَأَوْا فِيهَا مِنِ امْتِهَانٍ لِلْعَقْلِ وَانْحِطَاطٍ لِلْفِكْرِ كَذَلِكَ الأَمْرُ نَفْسُهُ فِي قَبِيلَةِ غِفَارٍ أَبُو ذَرٍّ جُنْدُبُ بنُ جُنَادَةَ.

قَالَ أَبُو ذَرٍّ: وَقَدْ صَلَّيْتُ يَا ابْنَ أَخِي قَبْلَ أَنْ أَلْقَى رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلَاثِ سِنِينَ. قُلْتُ: لِمَنْ، قَالَ:

لِلَّهِ، قُلْتُ: أَيْنَ تَوَجَّهُ؟ قَالَ: حَيْثُ وَجَّهَنِيَ اللَّهُ، أُصَلِّي عِشَاءً حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرُ اللَّيْلِ أُلْقِيتُ كَأَنِّي خِفَاءٌ حَتَّى تَعْلُونِيَ الشَّمْسُ.

كَانَ أَبُو ذَرٍّ مِنْ قَبِيلَةِ «غِفَار» إِحْدَى بُطُونِ كِنَانَةَ، وَتُقِيمُ فِي تِهَامَةَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ عَلَى طَرِيقِ التِّجَارَةِ القُرَيْشِيَّةِ إِلَى الشَّامِ.

كَانَ أَبُو ذَرٍّ آدَمَ ضَخْماً جَسِيماً طَوِيلاً، أَسْوَدَ، كَثَّ اللِّحْيَةِ، وَكَانَ شُجَاعاً، وَيُرْوَى أَنَّهُ كَانَ رَجُلاً يُصِيبُ، يَنْفَرِدُ وَحْدَهُ يَقْطَعُ الطَّرِيقَ، وَيُغِيرُ عَلَى الصِّرَمِ فِي عَمَايَةِ الصُّبْحِ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِهِ أَوْ قَدَمَيْهِ، كَأَنَّهُ السَّبُعُ، فَيَطْرُقُ الحَيَّ، وَيَأْخُذُ مَا أَخَذَ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ قَذَفَ فِي قَلْبِهِ الإِسْلَامَ، وَسَمِعَ مَقَالَةَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ يَدْعُو مُخْتَفِياً، فَأَقْبَلَ يَسْأَلُ عَنْهُ.

وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ رَأْساً فِي الزُّهْدِ، وَالصِّدْقِ، وَالعِلْمِ وَالعَمَلِ، قَوَّالاً بِالحَقِّ، لَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، عَلَى حِدَّةٍ فِيهِ.

إِسْلَامُ أَبِي ذَرٍّ

قَالَ أُنَيْسٌ لِأَخِيهِ أَبِي ذَرٍّ: إِنَّ لِي حَاجَةً بِمَكَّةَ، فَاكْفِنِي. فَانْطَلَقَ أُنَيْسٌ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ. قَالَ أَبُو ذَرٍّ: فَرَاثَ[1] عَلَيَّ ثُمَّ جَاءَ. فَقُلْتُ:

---

(١) راث: أبطأ وتأخّر.

مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: لَقِيتُ رَجُلاً بِمَكَّةَ عَلَى دِينِكَ، يَزْعُمُ أَنَّهُ مُرْسَلٌ. قُلْتُ: فَمَاذَا يَقُولُ النَّاسُ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: شَاعِرٌ، كَاهِنٌ، سَاحِرٌ. قَالَ: وَكَانَ أُنَيْسٌ أَحَدَ الشُّعَرَاءِ. فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الكَهَنَةِ، وَمَا هُوَ بِقَوْلِهِمْ، وَلَقَدْ وَضَعْتُ قَوْلَهُ عَلَى قَوْلِ الشُّعَرَاءِ، فَمَا يَلْتَئِمُ عَلَى لِسَانِ أَحَدٍ أَنَّهُ شِعْرٌ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَصَادِقٌ، وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ، قُلْتُ: فَاكْفِنِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأَنْظُرُ. قَالَ: نَعَمْ، وَكُنْ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ عَلَى حَذَرٍ فَإِنَّهُمْ قَدْ شَنَعُوا لَهُ وَتَجَهَّمُوا لَهُ، فَأَتَيْتُ مَكَّةَ، فَتَضَعَّفْتُ(١) رَجُلاً مِنْهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا الَّذِي تَدْعُونَهُ الصَّابِىءَ؟ فَأَشَارَ إِلَيَّ، فَقَالَ: الصَّابِىءُ. قَالَ: فَمَالَ عَلَيَّ أَهْلُ الوَادِي بِكُلِّ مَدْرَةٍ وَعَظْمٍ، حَتَّى خَرَرْتُ مَغْشِيّاً عَلَيَّ. فَارْتَفَعْتُ حِينَ ارْتَفَعْتُ كَأَنِّي نُصُبٌ أَحْمَرُ، فَأَتَيْتُ زَمْزَمَ فَغَسَلْتُ عَنِّيَ الدِّمَاءَ، وَشَرِبْتُ مِنْ مَائِهَا. وَلَقَدْ لَبِثْتُ ثَلاثِينَ بَيْنَ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ، مَا لِي طَعَامٌ إِلَّا مَاءَ زَمْزَمَ، فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عُكَنُ بَطْنِي، وَمَا وَجَدْتُ عَلَى كَبِدِي سَخْفَةَ جُوعٍ(٢).

فَبَيْنَا أَهْلُ مَكَّةَ فِي لَيْلَةٍ قَمْرَاءَ إِضْحِيَانَ(٣)، جَاءَتِ امْرَأَتَانِ

---

(١) تضعفت: نظرت إلى رجل ضعيف.
(٢) سخفة جوع: أثر جوع، ويكون بالهزال.
(٣) إضحيان: مضيئة كالضحى.

تَطُوفَانِ، وَتَدْعُوَانِ إِسَافاً وَنَائِلَةَ[1] فَأَتَتَا عَلَيَّ فِي طَوَافِهِمَا. فَقُلْتُ: أَنْكِحَا أَحَدَهُمَا الآخَرَ، فَمَا ثَنَاهُمَا ذَلِكَ عَنْ قَوْلِهِمَا، فَأَتَتَا عَلَيَّ، فَقُلْتُ: هَنٌ مِثْلَ الخَشَبَةِ، غَيْرَ أَنِّي لَمْ أُكَنِّ، فَانْطَلَقَتَا تُوَلْوِلاَنِ وَتَقُولاَنِ: لَوْ كَانَ هُنَا أَحَدٌ مِنْ أَنْفَارِنَا. فَاسْتَقْبَلَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ، وَأَبُو بَكْرٍ وَهُمَا هَابِطَتَانِ، فَقَالَ: مَا لَكُمَا؟ قَالَتَا: الصَّابِئُ بَيْنَ الكَعْبَةِ وَأَسْتَارِهَا. قَالَ: فَمَا قَالَ لَكُمَا؟ قَالَتَا: إِنَّهُ قَالَ كَلِمَةً تَمْلأُ الفَمَ.

قَالَ: وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هُوَ وَصَاحِبُهُ حَتَّى اسْتَلَمَا الحَجَرَ، ثُمَّ طَافَا بِالبَيْتِ، ثُمَ صَلَّى، فَأَتَيْتُهُ حِينَ قَضَى صَلاَتَهُ، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ حَيَّاهُ بِتَحِيَّةَ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ: وَعَلَيْكَ رَحْمَةُ اللَّهِ! مِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟ قُلْتُ: مِنْ غِفَارٍ، فَأَهْوَى بِيَدِهِ وَوَضَعَ أَصَابِعَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ. فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: كَرِهَ أَنِّي انْتَمَيْتُ إِلَى غِفَارٍ، فَذَهَبْتُ آخُذُ بِيَدِهِ، فَدَفَعَنِي صَاحِبُهُ، وَكَانَ أَعْلَمَ بِهِ مِنِّي. قَالَ: ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَتَى كُنْتَ هَا هُنَا؟ قُلْتُ: مُنْذُ ثَلاَثِينَ مِنْ بَيْنِ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ. قَالَ: فَمَنْ كَانَ يُطْعِمُكَ؟ قُلْتُ: مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلاَّ مَاءَ زَمْزَمَ، فَسَمِنْتُ، وَمَا أَجِدُ عَلَى بَطْنِي سَخْفَةَ جُوعٍ. قَالَ:

---

(١) إساف ونائلة: صنمان، تزعم العرب أنهما رجل وامرأة زنيا في الكعبة فمُسخا.

«إنَّها مُبارَكَةٌ، إنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ».

فَقالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي فِي طَعَامِهِ اللَّيْلَةَ، فَانْطَلَقْنَا فَفَتَحَ أَبُو بَكْرٍ بَاباً، فَجَعَلَ يَقْبِضُ مِنْ زَبِيبِ الطَّائِفِ. فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: فَذَاكَ أَوَّلُ طَعَامٍ أَكَلْتُهُ بِهَا.

وَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: [إنَّهُ قَدْ وُجِّهَتْ إِلَى أَرْضٍ ذَاتِ نَخْلٍ، وَلاَ أَحْسِبُهَا إلاَّ يَثْرِبَ، فَهَلْ أَنْتَ مُبْلِغٌ عَنِّي قَوْمَكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَنْفَعَهُمْ بِكَ بِأَجْرِكَ فِيْهِمْ؟].

فَانطَلَقْتُ حَتَّى لَقِيتُ أَخِي أُنَيْساً، فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: صَنَعْتُ أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ. قَالَ أُنَيْسٌ: مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكَ، فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ. قَالَ: فَأَتَيْنَا أُمَّنَا، فَقَالَتْ: مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكُمَا فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ.

قَالَ: فَاحْتَمَلْنَا حَتَّى أَتَيْنَا قَوْمَنَا غِفَارَ، فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمْ قَبْلَ أَنْ يَقْدُمَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المَدِينَةَ، وَكَانَ يَؤُمُّهُمْ إيمَاءُ بنُ رَحضَةَ، وَكَانَ سَيِّدَهُمْ، وَقَالَ بَقِيَّتُهُمْ: إِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المَدِينَةَ أَسْلَمْنَا. فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المَدِينَةَ فَأَسْلَمَ بَقِيَّتُهُمْ.

وَجَاءَتْ أَسْلَمُ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نُسْلِمُ عَلَى الَّذِي أَسْلَمَ

إِخْوَتُنَا، فَأَسْلَمُوا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [غِفَارٌ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا، وَأَسْلَمُ، سَالَمَهَا اللَّهُ][1].

قَالَ عَبْدُاللَّهِ بنُ عَبَّاسٍ: أَلَا أُخبِرُكُمْ بِإِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: قَالَ أَبو ذَرٍّ: بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا بِمَكَّةَ قَدْ خَرَجَ، يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَأَرْسَلْتُ أَخِي لِيُكَلِّمَهُ، فَقُلْتُ: انْطَلِقْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ، فَكَلِّمْهُ. فَانْطَلَقَ، فَلَقِيَهُ ثُمَّ رَجَعَ، فَقُلْت: مَا عِنْدَكَ؟ قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَأْمُرُ بِالخَيْرِ، وَيَنْهَى عَنِ الشَّرِّ. قُلْتُ: لَمْ تَشْفِنِي. فَأَخَذْتُ جِرَابًا وَعَصًا. ثُمَّ أَقْبَلْتُ إِلَى مَكَّةَ، فَجَعَلْتُ لَا أَعْرِفُهُ وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْأَلَ عَنْهُ، وَأَشْرَبُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، وَأَكُونُ فِي المَسْجِدِ. فَمَرَّ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: هَذَا رَجُلٌ غَرِيبٌ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: انْطَلِقْ إِلَى المَنْزِلِ. فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ، لَا أَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ وَلَا يُخْبِرُنِي.

فَلَمَّا أَصْبَحَ الغَدُ، جِئْتُ إِلَى المَسْجِدِ لَا أَسْأَلُ عَنْهُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُخْبِرُنِي عَنْهُ بِشَيْءٍ. فَمَرَّ بِي عَلِيٌّ، فَقَالَ: أَمَا آنَ لِلرَّجُلِ أَنْ يَعُودَ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: مَا أَمْرُكَ، وَمَا أَقْدَمَكَ؟ قُلْتُ: إِنْ كَتَمْتَ عَلَيَّ أَخبَرْتُكَ؟ قَالَ: أَفْعَلُ. قُلْتُ: قَدْ بَلَغَنَا أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ نَبِيٌّ. قَالَ: أَمَا قَدْ رَشُدْتَ، هَذَا وَجْهِي إِلَيْهِ، فَاتَّبِعْنِي وَادْخُلْ حَيْثُ

(١) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب فضائل أبي ذر برقم (٢٤٧٣).

أَدْخُلُ، فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ أَحَداً أَخَافُهُ عَلَيْكَ، قُمْتُ إِلَى الحَائِطِ كَأَنِّي أُصْلِحُ نَعْلِي، وَامْضِ أَنْتَ.

فَمَضَى وَمَضَيْتُ مَعَهُ، فَدَخَلْنَا عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اعْرِضْ عَلَيَّ الإِسْلاَمَ. فَعَرَضَ عَلَيَّ، فَأَسْلَمْتُ مَكَانِي. فَقَالَ لِي: يَا أَبَا ذَرٍّ، اكْتُمْ هَذَا الأَمْرَ، وارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ، فَإِذَا بَلَغَكَ ظُهُـورُنَا، فَأَقْبِلْ. فَقُلْتُ: وَالَّذِيْ بَعَثَكَ بِالحَقِّ لأَصْرَخَنَّ بِهَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ.

فَجَاءَ إِلَى المَسْجِدِ وَقُرَيْشٌ فِيْهِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهَ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَقَالُوا: قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِىءِ. فَقَامُوا فَضُرِبْتُ لِأَمُوتَ، فَأَدْرَكَنِيَ العَبَّاسُ، فَأَكَبَّ عَلَيَّ، وَقَالَ: وَيْلَكُمْ تَقْتُلُونَ رَجُلاً مِنْ غِفَارٍ، وَمَتْجَرُكُمْ وَمَمَرُّكُمْ عَلَى غِفَارٍ، فَأَطْلِقُوا عَنِّي. فَلَمَّا أَصْبَحْتُ، رَجَعْتُ، فَقُلْتُ مِثْلَ مَا قُلْتُ بِالأَمْسِ. فَقَالُوا: قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِىءِ، فَصُنِعَ بِي كَذَلِكَ، وَأَدْرَكَنِيَ العَبَّاسُ، فَأَكَبَّ عَلَيَّ. فَهَذَا أَوَّلُ إِسْلاَمِ أَبِي ذَرٍّ.

ثُمَّ قَالَ أَبُو ذَرٍّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي مُنْصَرِفٌ إِلَى أَهْلِي وَنَاظِرٌ مَتَى يُؤْمَرُ بِالقِتَالِ، فَأَلْحَقُ بِكَ فَإِنِّي أَرَى قَوْمَكَ عَلَيْكَ جَمِيعاً. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَصَبْتَ فَانْصَرِفْ.

فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَّا قُرَيْشٌ فَلَا أَدَعُهُمْ حَتَّى أَثْأَرَ مِنْهُمْ، ضَرَبُونِي، فَخَرَجَ فَأَقَامَ بِـ (عُسْفَانَ) وَكُلَّمَا أَقْبَلَتْ عِيرٌ لِقُرَيْشٍ يَحْمِلُونَ الطَّعَامَ يُنَفِّرُ بِهِمْ عَلَى ثَنِيَّةِ (غَزَالٍ) فَتُلْقَى أَحْمَالُهَا فَيَجْمَعُوا الحِنطَ. فَكَانَ أَبُو ذَرٍّ يَقُولُ لِقَومِهِ: لَا يَمَسُّ أَحَدٌ حَبَّةً حَتَّى تَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَقُولُونَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيَأْخُذُونَ الغَرَائِرَ[1].

وَرَجَعَ أَبُو ذَرٍّ حِينَ أَسْلَمَ وَأَقَامَ فِي بِلَادِ قَوْمِهِ حَتَّى مَضَتْ بَدْرٌ، وَأُحُدٌ، وَالخَنْدَقِ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالمَدِينَةِ بَعْدَ ذَلِكَ.

مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَقْبَلَ أَبُو ذَرٍّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالمَدِينَةِ، وَأَقَامَ مَعَهُ، وَشَهِدَ مَعَهُ المَشَاهِدَ كُلَّهَا. وَحَمَلَ يَوْمَ حُنَيْنٍ رَايَةَ غِفَارٍ.

وَكَانَ يَقُولُ: أَبْطَأْتُ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، مِنْ عَجَفِ (هُزَالِ) بَعِيرِي.

---

(١) الغرائر: جمع غرارة وهي كمية من القمح تعادل ثمانين مُدّاً.

عَنْ عَبْدِاللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: لَمَّا سَارَ رسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلَى تَبُوكَ، جَعَلَ لاَ يَزَالُ يَتَخَلَّفُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَخلَّفَ فُلاَنٌ. فَيَقُولُ: «دَعُوهُ، إنْ يَكُنْ فِيهِ خَيرٌ، فَسَيَلْحَقُكُمْ، وَإنْ يَكُنْ غَيرُ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاحَكُمُ اللَّهُ مِنْهُ». حَتَّى قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَخلَّفَ أَبُو ذَرٍّ، وَأَبْطَأَ بِهِ بَعِيرُهُ.

قَالَ: وَتَلَوَّمَ (تَلَبَّثَ وَمَكَثَ) بَعِيرُ أَبِي ذَرٍّ، فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَيْهِ أَخذَ مَتَاعَهُ، فَجَعَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ، وَخَرَجَ يَتْبَعُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَنَظَرَ نَاظِرٌ فَقَالَ: إنَّ هَذَا الرَّجُلَ يَمْشِي عَلَى الطَّرِيقِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُنْ أَبَا ذَرٍّ». فَلَمَّا تَأَمَّلَهُ القَوْمُ، قَالُوا: هُوَ وَاللَّهِ أَبُو ذَرٍّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَحِمَ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ، يَمْشِي وَحْدَهُ، وَيَمُوتُ وَحْدَهُ، وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ».

قَالَ أَبُو ذَرٍّ حَدْثَانَ إسْلاَمِهِ (وَهُوَ حَدِيثُ الإسْلاَمِ) لاِبْنِ عَمِّهِ: يَا ابْنَ الأَمَةِ. فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا ذَهَبَتْ عَنْكَ أَعْرَابِيَّتُكَ بَعْدُ».

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي، قَالَ فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا

أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ القِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيْهَا»[1]. وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لِأَبِي ذَرٍّ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفاً، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مالَ يَتِيمٍ»[2]. وَلَيْسَ الضَّعْفُ هُنَا بِنَقْصٍ فِي القُوَّةِ أَوِ الشَّجَاعَةِ فَقَدْ عُرِفَ أَبُو ذَرٍّ بِالقُوَّةِ وَالشَّجَاعَةِ وَإِنَّمَا عَدَمُ الحِلْمِ والأَنَاةِ إِذْ عُرِفَ فِي طَبْعِهِ الحِدَّةُ، وَالإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ الخَيْرِ.

وَعَنْ عَبْدِاللَّهِ بنِ عَمْرو قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا أَقَلَّتِ الغَبْرَاءُ وَلَا أَظَلَّتِ الخَضْرَاءُ مِنْ رَجُلٍ أَصْدَقَ لَهْجَةً مِنْ أَبِي ذَرٍّ»[3].

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي بِسَبْعٍ: «أَمَرَنِي بِحُبِّ المَسَاكِينِ وَالدُّنُوِّ مِنْهُمْ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ دُونِي، وَأَنْ لَا أَسْأَلَ أَحَداً شَيْئاً، وَأَنْ أَصِلَ الرَّحِمَ وَإِنْ أَدْبَرَتْ، وَأَنْ أَقُولَ الحَقَّ وَإِنْ كَانَ مُرّاً، وَأَلَّا أَخَافَ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَأَنْ أُكْثِرَ

---

(١) رواه مسلم ١٨٢٥.

(٢) رواه مسلم ١٨٢٦.

(٣) رواه الترمذي ٣٨٠١ وابن ماجه ١٥٦ والحاكم ٣/٣٤٢.

مِـنْ قَوْلِ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهُنَّ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ »[1].

وَلِأَبِي ذَرٍّ وَاحِدٌ وَثَمَانُونَ وَمِائَتَا حَدِيثٍ، اتَّفَقَا مِنْهَا عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ حَدِيثاً، وَانْفَرَدَ الْبُخَارِيُّ بِحَدِيثَيْنِ، وَمُسْلِمٌ بِتِسْعَةَ عَشَرَ حَدِيثاً.

مَعَ خُلَفَاءِ رَسُولِ اللَّهِ

كَانَ خُلَفَاءُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ وَهُمُ الَّذِينَ عَاشَ فِي أَيَّامِهِمْ يَحْتَرِمُونَهُ وَيُجِلُّونَهُ لِحُبِّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَهُ وَلِعِلْمِهِ وَزُهْدِهِ، وَكَذَلِكَ كَانَ بَقِيَّةُ الصَّحَابَةِ رَغْمَ الحِدَّةِ الَّتِي كَانَتْ فِي طَبْعِهِ وَرَغْمَ القَسْوَةِ الَّتِي كَانُوا يَنَالُونَهَا مِنْهُ أَحْيَاناً. وَمَعَ الأَسَفِ فَإِنَّ بَعْضَ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ قَدْ فَهِمُوا هَذِهِ المَحَبَّةَ لَهُ ضَعْفاً مِنَ الخُلَفَاءِ وَوُلَاتِهِمْ، وَفَسَّرُوا شِـدَّتَهُ الَّتِي جُبِلَ عَلَيْهَا ثَوْرَةً عَلَيْهِمْ لِلظُّلْمِ القَائِمِ ، وَأَوَّلُوا سُكُوتَهُمْ تَقْدِيراً لَهُ، سُكُوتَ الخَوْفِ مِمَّا يَقَعُ مِنْ مُخَالَفَاتٍ شَرْعِيَّةٍ، وَهَكَذَا انْقَلَبَ أَبُو ذَرٍّ فِي نَظَرِ هَؤُلَاءِ إِلَى ثَائِرٍ عَلَى التَّرَفِ وَالبَغْيِ وَالظُّلْمِ ، وَانْقَلَبَ ذَاكَ المُجْتَمَعُ الصَّالِحُ

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١٥٩/٥.

خَيْرُ القُرُونِ إِلَى عَهْدٍ فِيْهِ المَآسِي، وَفِيْهِ المَظَالِمُ، وَكُلُّ هَذَا مِنْ نَفْثِ السُّمُومِ فِي المُجْتَمَعِ الإِسْلاَمِيِّ.

كَانَ أَبُو ذَرٍّ يُفْتِي فِي خِلاَفَةِ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ[1].

وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ يُفَضِّلُ إِنْفَاقَ المَالِ وَيَكْرَهُ جَمْعَهُ حَتَّى وَصَلَ بِهِ الأَمْرُ إِلَى القَسْوَةِ عند كُلِّ صَاحِبِ مَالٍ وَلَوْ كَانَ كَثِيرَ الصَّدَقَاتِ كَثِيرَ الإِنْفَاقِ فِي سَبيلِ اللَّهِ. عَنِ الأَحْنَفِ بنِ قَيْسٍ قَالَ: قَدِمْتُ المَدِينَةَ، فَبَيْنَا أَنَا فِي حَلْقَةٍ فِيْهَا مَلأٌ مِنْ قُرَيْشٍ، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ أَخْشَنُ الثِّيَابِ، أَخْشَنُ الجَسَدِ، أَخْشَنُ الوَجْهِ فَقَامَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: بَشِّرِ الكَنَّازِينَ بِرَضْفٍ يُحْمَى عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُوضَعُ عَلَى حَلَمَةِ ثَدْيِ أَحَدِهِمْ، حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ نُغْضِ كَتِفِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى نُغْضِ كَتِفِهِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ حَلَمَةَ ثَدْيِهِ يَتَجَلْجَلُ.

قَالَ: فَوَضَعَ القَوْمُ رُؤُوسَهُمْ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَداً مِنْهُمْ رَجَعَ إِلَيْهِ شَيْئاً. فَأَدْبَرَ، فَتَبِعْتُهُ حَتَّى جَلَسَ إِلَى سَارِيَةٍ، فَقُلْتُ: مَا رَأَيْتُ هَؤُلاَءِ إِلاَّ كَرِهُوا مَا قُلْتَ لَهُمْ. قَالَ: إِنَّ هَؤُلاَءِ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً؛ إِنَّ خَلِيلِي أَبَا القَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَانِي فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ» فَأَجَبْتُهُ. فَقَالَ: «تَرَى أُحُداً؟» فَنَظَرْتُ مَا عَلَيَّ مِنَ

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢/٤٦.

الشَّمْسِ ـ وَأَنَا أَظُنُّهُ يَبْعَثُنِي فِي حَاجَةٍ ـ فَقُلْتُ: أَرَاهُ، فَقَالَ: «مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي مِثْلَهُ ذَهَباً، أُنْفِقُهُ كُلَّهُ، إلَّا ثَلَاثَةَ دَنَانِيرَ» ثُمَّ هَؤُلَاءِ يَجْمَعُونَ الدُّنْيَا لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً.

فَقُلْتُ: مَا لَكَ وَلإِخْوَانِكَ مِنْ قُرَيْشٍ، لَا تَعْتَرِيهِمْ وَلَا تُصِيبُ مِنْهُمْ؟ قَالَ: لَا وَرَبِّكَ، مَا أَسْأَلُهُمْ دُنْيَا، وَلَا أَسْتَفْتِيهِمْ عَنْ دِينٍ حَتَّى أَلْحَقَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ(١).

قَالَ غَزْوَانُ أَبُو حَاتِمٍ: بَيْنَا أَبُو ذَرٍّ عِنْدَ بَابِ عُثْمَانَ لِيُؤْذَنَ لَهُ، إِذْ مَرَّ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ، مَا يُجْلِسُكَ هَا هُنَا؟ قَالَ: يَأْبَى هَؤُلَاءِ أَنْ يَأْذَنُوا لَنَا. فَدَخَلَ الرَّجُلُ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا بَالُ أَبِي ذَرٍّ عَلَى البَابِ.

فَأَذِنَ لَهُ، فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ نَاحِيَةً، وَمِيرَاثُ عَبْدِالرَّحْمَنِ يُقْسَمُ، فَقَالَ عُثْمَانُ لِكَعْبٍ: أَرَأَيْتَ المَالَ إِذَ أُدِّيَ زَكَاتُهُ، هَلْ يَخْشَى عَلَى صَاحِبِهِ فِيْهِ تَبِعَةٌ؟ قَالَ: لَا. فَقَامَ أَبُو ذَرٍّ فَضَرَبَهُ بِعَصَا بَيْنَ أُذُنَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا ابْنَ اليَهُودِيَّةَ، تَزْعُمُ أَنْ لَيْسَ عَلَيْهِ حَقٌّ فِي مَالِهِ إِذَا أَدَّى زَكَاتَهُ، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾(٢). وَيَقُولُ: ﴿ وَيُطْعِمُونَ

(١) أخرجه البخاري ٢١٨/٣ في الزكاة، ومسلم، ٩٩٢ في الزكاة.
(٢) سورة الحشر من الآية ٩.

الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً﴾(١). فَجَعَلَ يَذْكُرُ نَحْوَ هَذَا مِنَ القُرْآنِ. فَقَالَ عُثْمَانُ لِلْقُرَشِيِّ: إِنَّمَا نَكْرَهُ أَنْ نَأْذَنَ لِأَبِي ذَرٍّ مِنْ أَجْلِ مَا تَرَى. وَقَدْ شَجَّ أَبُو ذَرٍّ كَعْباً عِنْدَمَا ضَرَبَهُ، فَاسْتَوْهَبَهُ عُثْمَانُ فَوَهَبَهُ لَهُ. وَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ، اتَّقِ اللَّهَ وَاكْفُفْ يَدَكَ وَلِسَانَكَ.

وَارْتَحَلَ أَبُو ذَرٍّ إِلَى الشَّامِ، فَكَانَ يُحَدِّثُ هُنَاكَ، فَيَقُولُ: لاَ يَبِيتَنَّ عِنْدَ أَحَدِكُمْ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، وَلاَ تِبْرٌ وَلاَ فِضَّةٌ، إِلَّا شَيْءٌ يُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ يُعِدُّهُ لِغَرِيمٍ. فَاسْتَهْوَى قُلُوبَ الرِّجَالِ. وَبَعَثَ لَهُ مُعَاوِيَةُ بِأَلْفِ دِينَارٍ فَأَنْفَقَهَا فِي جُنْحِ اللَّيْلِ. وَأَصْبَحَ مُعَاوِيَةُ يُنْكِرُ بَعْضَ شَأْنِ رَعِيَّتِهِ، وَلاَ يُمْكِنُهُ أَنْ يَأْخُذَهُ بِالقَسْوَةِ لِمَا لَهُ مِنْ فَضْلٍ فَهُوَ مِنَ الصَّحَابَةِ الخِيَارِ، وَلاَ يُمْكِنُهُ أَنْ يَجْرَحَهُ بِالكَلاَمِ لِاحْتِرَامِهِ لَهُ وَتَقْدِيرِهِ، وَلَكِنْ أَحَبَّ أَنْ يَعُودَ إِلَى المَدِينَةِ حَيْثُ لاَ يَسْتَطِيعُ هُنَاكَ أَنْ يَكُونَ لَهُ دَوْرٌ بَيْنَ النَّاسِ لِمَعْرِفَتِهِمْ بِهِ، وَلِأَنَّ أَكْثَرَهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ وَأَبْنَائِهِمْ وَقَدْ عَرَفُوا حِدَّتَهُ وَعَلِمُوا قَسْوَتَهُ وَتَعَوَّدُوا عَلَى ذَلِكَ، وَلِبُعْدِ المَدِينَةِ عَنِ الثُّغُورِ. وَأَمَّا فِي الشَّامِ فَهُنَاكَ مَنْ هُوَ حَدِيثُ العَهْدِ بِالإِسْلاَمِ

---

(١) سورة الإنسان ٨، ٩.

وَيُمْكِنُ أَنْ يُولَعَ بِالصَّحَابَةِ وَيَتَأَثَّرَ بِكُلِّ مَا يَسْمَعُ. فَكَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى عُثْمَانَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنْ كَانَ لَكَ بِالشَّامِ حَاجَةٌ، أَوْ بِأَهْلِهِ، فَابْعَثْ إِلَى أَبِي ذَرٍّ، فَإِنَّهُ قَدْ وَغَلَ صُدُورَ النَّاسِ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُثْمَانُ: أَقْدِمْ عَلَيَّ. فَقَدِمَ.

أَيْ لَمْ يَكُنْ لِمُعَاوِيَةَ عَلَى أَبِي ذَرٍّ مِنْ نُفُوذٍ وَمَا كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَتَّخِذَ عَلَيْهِ صِفَةَ الوِلاَيَةِ، لِذَا كَتَبَ إِلَى عُثْمَانَ بِذَلِك فَهُوَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ وَلَهُ فَضْلُ السَّابِقَةِ كَأَبِي ذَرٍّ وَلَمْ يَكُنْ لِمُعَاوِيَة هَذَا(١). وَمَعَ هَذِهِ الشِّدَّةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا أَبُو ذَرٍّ فَإِنَّهُ يَسْمَعُ وَيُطِيعُ وَيَأْتَمِرُ بِأَمْرِ الخَلِيفَةِ وَالأَمِيرِ وَلَا يُخَالِفُ أَبَدَاً.

جَاءَ أَبُو ذَرٍّ إِلَى المَدِينَةِ فَلَمَّا رَآهُ عُثْمَانُ قَالَ لَهُ: مَرْحَبَاً وَأَهْلاً بِأَخِي. فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: مَرْحَبَاً وَأَهْلاً بِأَخِي، لَقَدْ أَغْلَظْتَ عَلَيْنَا فِي العَزِيمَةِ، وَاللَّهِ لَوْ عَزَمْتَ عَلَيَّ أَنْ أَحْبُوَ لَحَبَوْتُ مَا اسْتَطَعْتُ. إِنِّي خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَحْوَ حَائِطِ بَنِي فُلاَنٍ، فَقَالَ لِي: «وَيْحَكَ بَعْدِي» فَبَكِيتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ

---

(١) استغلّ بعض الناس طبع أبي ذرٍّ وحدته وقسوته على بعض الصحابة والولاة فجعلوا من رأيه مذهباً في الاشتراكية، بل هاجموا عدداً من الصحابة الذين تكلم فيهم وعدّوهم بعيدين عن الإسلام وخاصةً لأنهم لم يدافعوا عن أنفسهم ولم يردوا على أبي ذرٍّ احتراماً لصحبته وتقديراً لمكانته.

اللّهِ، وَإِنِّي بَاقٍ بَعْدَكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، فَإِذَا رَأَيْتَ البِنَاءَ عَلَى سَلْعٍ، فَالْحَقْ بِالمَغْرِبِ مِنْ أَرْضِ قُضَاعَةَ». وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: قَالَ لِي رَسُولُ اللّهِ، صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اسْمَعْ وَأَطِعْ لِمَنْ كَانَ عَلَيْكَ».

قَالَ عَبْدُاللّهِ بنُ سَيْدَانَ السُّلَمِيُّ: تَنَاجَى أَبُو ذَرٍّ وَعُثْمَانُ حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا، ثُمَّ انْصَرَفَ أَبُو ذَرٍّ مُتَبَسِّماً، فَقَالُوا: مَا لَكَ وَلِأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: سَامِعٌ مُطِيعٌ، وَلَوْ أَمَرَنِي أَنْ آتِيَ صَنْعَاءَ أَوْ عَدَنَ، ثُمَّ اسْتَطَعْتُ أَنْ أَفْعَلَ، لَفَعَلْتُ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الرَّبَذَةِ.

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: لَوْ أَمَرَنِي عُثْمَانُ أَنْ أَمْشِيَ عَلَى رَأْسِي لَمَشَيْتُ.

وَعِنْدَمَا بَدَأَتِ الفِتْنَةُ وَجَاءَ أَصْحَابُهَا إِلَى عُثْمَانَ كَانَ عِنْدَهُ أَبُو ذَرٍّ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، افْتَحِ البَابَ، لَا تَحْسَبْنِي مِنْ قَوْمٍ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ.

قَالَ عَبْدُاللّهِ بنُ الصَّامِتِ: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي ذَرٍّ عَلَى عُثْمَانَ، فَلَمَّا دَخَلَ حَسَرَ عَنْ رَأْسِهِ وَقَالَ: وَاللّهِ مَا أَنَا مِنْهُمْ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ـ يُرِيدُ أَصْحَابَ الفِتْنَةِ ـ قَالَ لَهُ عُثْمَانُ: صَدَقْتَ يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ لِتُجَاوِرَنَا بِالمَدِينَةِ، قَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِي

ذَلِكَ، ائِذَنْ لِي إِلَى الرَّبَذَةِ. قَالَ: نَعَمْ، وَنَأْمُرُ لَكَ بِنَعَمٍ مِنْ نَعَمِ الصَّدَقَةِ تَغْدُو عَلَيْكَ وَتَرُوحُ. قَالَ: لاَ حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ، يَكْفِي أَبَا ذَرٍّ صُرَيْمَتُهُ[1]. فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ: دُونَكُمْ مَعَاشِرَ قُرَيْشٍ، دُنْيَاكُمْ فَاعْذِمُوهَا[2]، وَدَعُونَا وَرَبَّنَا.

فِي الرَّبَذَةِ

انْطَلَقَ أَبُو ذَرٍّ إِلَى الرَّبَذَةِ وَكَانَ يُحِبُّ الوَحْدَةَ غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ يَغْدُو وَيَرُوحُ إِلَى المَدِينَةِ بَيْنَ الحِينِ وَالآخَرِ خَوْفاً مِنَ الاسْتِقْرَارِ فِي البَادِيَةِ وَتَرْكِ المَدِينَةِ بَعْدَ الهِجْرَةِ، وَقَدْ وَرَدَ النَّهْيُ عَنْ ذَلِكَ. وَكَانَ يَغْزِلُ الصُّوفَ أَحْيَاناً فِي بَادِيَتِهِ. قَالَتْ أُمُّ طَلْقٍ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي ذَرٍّ فَرَأَيْتُهُ شَعْثاً شَاحِباً، بِيَدِهِ صُوفٌ، قَدْ جُعِلَ بَيْنَ عُودَيْنِ، وَهُوَ يَغْزِلُ بِهِمَا، فَلَمْ أَرَ فِي بَيْتِهِ شَيْئاً، فَنَاوَلْتُهُ شَيْئاً مِنْ دَقِيقٍ وَسَوِيقٍ، فَقَالَ لِي: أَمَّا ثَوَابُكِ فَعَلَى اللَّهِ.

عَنْ شَيْخَيْنِ مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ، قالاَ: نَزَلْنَا الرَّبَذَةَ، فَمَرَّ بِنَا شَيْخٌ أَشْعَثُ، أَبْيَضُ الرَّأْسِ وَاللِّحْيَةِ، فَقَالُوا: هَذَا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَاسْتَأْذَنَّاهُ أَنْ نَغْسِلَ رَأْسَهُ،

---

(١) الصريمة: تصغير الصِّرمة: وهو القطيع من الإبل والغنم أي يكفيه ما عنده من قليل من الإبل والغنم.

(٢) العذم: الأكل بشراهة.

فَأَذِنَ لَنَا، وَاسْتَأْنَسَ بِنَا. فَبَيْنَمَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ أَتَانَا نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ العِرَاقِ ـ حَسِبْتُهُ قَالَ: مِنْ أَهْلِ الكُوفَةِ ـ فَقَالُوا: يَا أَبَا ذَرٍّ، فَعَلَ بِكَ هَذَا الرَّجُلُ وَفَعَلَ فَهَلْ أَنْتَ نَاصِبٌ لَكَ رَايَةً فَنُكَلِّمُكَ بِرِجَالٍ مَا شِئْتَ؟ فَقَالَ: يَا أَهْلَ الإِسْلَامِ، لَا تَعْرِضُوا عَلَيَّ ذَاكُمْ وَلَا تُذِلُّوا السُّلْطَانَ، فَإِنَّهُ مَنْ أَذَلَّ السُّلْطَانَ، فَلَا تَوْبَةَ لَهُ، وَاللَّهِ لَوْ صَلَبَنِي عَلَى أَطْوَلِ خَشَبَةٍ أَوْ حَبْلٍ، لَسَمِعْتُ وَصَبَرْتُ وَرَأَيْتُ أَنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لِي[1].

قَالَ المَعْرُورُ بنُ سُوَيْدٍ: نَزَلْنَا الرَّبَذَةَ، فَإِذَا بِرَجُلٍ عَلَيْهِ بُرْدٌ، وَعَلَى غُلَامِهِ مِثْلُهُ، فَقُلْنَا: لَوْ عَمِلْتَهُمَا حُلَّةً لَكَ، وَاشْتَرَيْتَ لِغُلَامِكَ غَيْرَهُ، فَقَالَ: سَأُحَدِّثُكُمْ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَاحِبٍ لِي كَلَامٌ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً، فَنِلْتُ مِنْهَا، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَابَبْتَ فُلَاناً»؟ قُلْتُ: نَعَمْ: قَالَ: «ذَكَرْتَ أُمَّهُ»؟ قُلْتُ: مَنْ سَابَّ الرِّجَالَ ذُكِرَ أَبُوهُ وَأُمُّهُ. فَقَالَ: «إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيَلْبِسْهُ

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٥/١٦٥.
ويبدو أن القادمين من العراق هم من أهل الفتنة، وقد أرادوا أن يستغلّوا أبا ذرّ وظنّوا أنه ناقم على عثمان، لإرساله إلى الربذة، فوجدوا أن إيمانه فوق الأمور الشخصية بكثير.

مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»[1].

وَعَنْ أَبِي أَسْمَاءَ، أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَبِي ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعِنْدَهُ امْرَأَةٌ لَهُ سَوْدَاءُ مُشَعَّثَةٌ، لَيْسَ عَلَيْهَا أَثَرُ المَسَاجِدِ وَالخَلُوقِ. فَقَالَ: أَلَا تَنْظُرُونَ مَا تَأْمُرُنِي بِهِ؟ تَأْمُرُنِي أَنْ آتِيَ العِرَاقَ، فَإِذَا أَتَيْتُهَا مَالُوا عَلَيَّ بِدُنْيَاهُمْ، وَإِنَّ خَلِيلِي عَهِدَ إِلَيَّ: «إِنَّ دُونَ جِسْرِ جَهَنَّمَ طَرِيقاً ذَا دَحْضٍ وَمَذَلَّةٍ». وَإِنَّا أَنْ نَأْتِيَ عَلَيْهِ وَفِي أَحْمَالِنَا اقْتِدَارٌ أَحْرَى أَنْ نَنْجُوَ مِنْ أَنْ نَأْتِيَ وَنَحْنُ مَوَاقِيرُ.

وَفَاةُ أَبِي ذَرٍّ

تُوُفِّيَ أَبُو ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ عَامَ اثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ لِلْهِجْرَةِ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ. عَنْ إِبْرَاهِيمَ بنِ الأَشْتَرِ، أَنَّ أَبَا ذَرٍّ حَضَرَهُ المَوْتُ بِالرَّبَذَةِ، فَبَكَتِ امْرَأَتُهُ، فَقَالَ: وَمَا يُبْكِيكِ؟ قَالَتْ: أَبْكِي أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ تَغْيِيبِكَ. وَلَيْسَ عِنْدِي ثَوْبٌ يَسَعُكَ كَفَناً.

قَالَ: لَا تَبْكِي، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذَاتَ يَوْمٍ، وَأَنَا عِنْدَهُ فِي نَفَرٍ، يَقُولُ: «لَيَمُوتَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ بِفَلَاةٍ تَشْهَدُهُ عِصَابَةٌ مِنَ المُؤْمِنِينَ». فَكُلُّ مَنْ كَانَ مَعِي

---

(١) أخرجه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، وأحمد.

فِي المَجْلِسِ مَاتَ فِي جَمَاعَةٍ أَوْ قَرْيَةٍ، فَلَمْ يَبْقَ غَيْرِي، وَقَدْ أَصْبَحْتُ بِالفَلَاةِ أَمُوتُ، فَرَاقِبِي الطَّرِيقَ، فَإِنَّكِ سَوْفَ تَرِينَ مَا أَقُولُ، مَا كَذَبْتُ وَمَا كُذِبْتُ. قَالَتْ: وَأَنَّى ذَلِكَ وَقَدِ انْقَطَعَ الحَاجُّ؟.

قَالَ: رَاقِبِي الطَّرِيقَ فَبَيْنَا هِيَ كَذَلِكَ، إِذْ هِيَ بِالقَوْمِ تَخُبُّ(١) بِهِمْ رَوَاحِلُهُمْ كَأَنَّهُمُ الرَّخَمُ(٢)، فَأَقْبَلُوا حَتَّى وَقَفُوا عَلَيْهَا. قَالُوا: مَا لَكِ؟ قَالَتْ: رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ تُكَفِّنُونَهُ، وَتُؤْجَرُونَ فِيهِ. قَالُوا: وَمَنْ هُوَ؟ قَالَتْ: أَبُو ذَرٍّ. فَفَدَوْهُ بِآبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ، وَوَضَعُوا سِيَاطَهُمْ فِي نُحُورِهَا(٣) يَبْتَدِرُونَهُ.

فَقَالَ: أَبْشِرُوا، أَنْتُمُ النَّفَرُ الَّذِينَ قَالَ فِيكُمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا قَالَ. سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مَا مِنِ امْرَأَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ هَلَكَ بَيْنَهُمَا وَلَدَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ فَاحْتَسَبَا وَصَبَرَا، فَيَرَيَانِ النَّارَ أَبَداً».

ثُمَّ قَالَ: وَقَدْ أَصْبَحْتُ اليَوْمَ حَيْثُ تَرَوْنَ، وَلَوْ أَنَّ ثَوْباً مِنْ ثِيَابِي يَسَعُنِي لَمْ أُكَفَّنْ إِلَّا فِيهِ. أَنْشُدُكُمُ اللَّهَ: أَلَّا يُكَفِّنَنِي رَجُلٌ

---

(١) تخب: تسرع.

(٢) الرخم: نوع من الطير.

(٣) نحورها: نحور رواحلهم، أي ضربوها بسياطهم لتزداد سرعة

مِنْكُمْ كَانَ أَمِيراً أَوْ عَرِيفاً أَوْ بَرِيداً. فَكُلُّ القَوْمِ كَانَ نَالَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً إِلاَّ فَتَىً مِنَ الأَنْصَارِ قَالَ: أَنَا صَاحِبُكَ، ثَوْبَانِ فِي عَيْبَتِي مِنْ غَزْلِ أُمِّي، وَأَحَدُ ثَوْبَيَّ هَذَيْنِ اللَّذَيْنِ عَلَيَّ.

وَعَنْ عَبْدِاللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ قَالَ: لَمَّا نَفَى عُثْمَانُ أَبَا ذَرٍّ إِلَى الرَّبَذَةِ، وَأَصَابَهُ بِهَا قَدَرُهُ، لَمْ يَكُنْ مَعَهُ إِلاَّ امْرَأَتُهُ وَغُلاَمُهُ، فَأَوْصَاهُمَا: أَنِ اغْسِلاَنِي وَكَفِّنَانِي وَضَعَانِي عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ، فَأَوَّلُ رَكْبٍ يَمُرُّ بِكُمْ قُولُوا: هَذَا أَبُو ذَرٍّ، فَأَعِينُونَا عَلَيْهِ.

فَوَضَعَاهُ، وَأَقْبَلَ ابنُ مَسْعُودٍ فِي رَهْطٍ مِنَ العِرَاقِ عُمَّاراً، فَلَمْ يَرُعْهُمْ إِلاَّ بِهِ، قَدْ كَادَتِ الإِبِلُ أَنْ تَطَأَهُ. فَقَامَ الغُلاَمُ، فَقَالَ: هَذَا أَبُو ذَرٍّ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَاسْتَهَلَّ عَبْدُاللَّهِ يَبْكِي، وَيَقُولُ: صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَمْشِي وَحْدَكَ، وَتَمُوتُ وَحْدَكَ، وَتُبْعَثُ وَحْدَكَ». ثُمَّ نَزَلُوا فَوَارُوهُ[1]، ثُمَّ حَدَّثَهُمْ عَبْدُاللَّهِ حَدِيثَهُ، وَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي مَسِيرِهِ وَحْدَهُ إِلَى تَبُوكَ.

---

(١) زعم بعضهم: أن أبا ذرٍّ توفيّ بالشّام، وهناك ضريح في مكانٍ يُدْعَى «طرنجة» بين دمشق والقنيطرة يزعمون أنه لأبي ذرٍّ، وآخر في وادي «سعار» قرب قرية «مسعدة» إلى الشرق من «بانياس» التي على الحدود بين سوريا وفلسطين يزعمون أيضاً أنه ضريح أبي ذرٍّ.

وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَكْرَهُ الإِمَارَةَ بَعْدَ أَنْ نَهَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْهَا، حَتَّى صَارَ يَكْرَهُ كُلَّ مَنْ يَتَأَمَّرُ، وَيَشْتَدُّ عَلَيْهِ، فَعَنِ ابنِ بُرَيْدَةَ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ أَبُو مُوسَى لَقِيَ أَبَا ذَرٍّ، فَجَعَلَ أَبُو مُوسَى يُكْرِمُهُ - وَكَانَ أَبُو مُوسَى قَصِيراً خَفِيفَ اللَّحْمِ. وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ أَسْوَدَ كَثَّ الشَّعْرِ - فَيَقُولُ أَبُو ذَرٍّ: إِلَيْكَ عَنِّي، وَيَقُولُ أَبُو مُوسَى: مَرْحَباً بِأَخِي، فَيَقُولُ: لَسْتُ بِأَخِيكَ، إِنَّمَا كُنْتُ أَخَاكَ قَبْلَ أَنْ تَلِيَ.

وَكَانَ زَاهِداً فِي المَالِ وَيَشْتَدُّ عَلَى أَهْلِهِ. وَكَانَ عَطَاؤُهُ أَرْبَعَةَ آلَافٍ، فَكَانَ إِذَا أَخَذَهُ أَخَذَ خَادِمُهُ، فَسَأَلَهُ عَمَّا يَكْفِيهِ لِلسَّنَةِ، فَاشْتَرَاهُ وَأَنْفَقَ مَا سِوَى ذَلِكَ.

وَيَشْتَدُّ أَبُو ذَرٍّ وَبِحِدَّةٍ، وَيَسْكُتُ لَهُ الآخَرُونَ احْتِرَاماً لَهُ وَتَقْدِيراً.

وَقَدْ رَوَى عَنْهُ: أَنَسُ بنُ مَالِكٍ، وَعَبْدُاللَّهِ بنُ عَبَّاسٍ، وَعَبْدُاللَّهِ بنُ عُمَرَ، وَأَبُو مُسْلِمٍ الخَوْلَانِيُّ، وَأَبُو الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ، وَأَبُو إِدْرِيسَ الخَوْلَانِيُّ، وَالأَحْنَفُ بنُ قَيْسٍ، وَسَعِيدُ بنُ المُسَيِّبِ، وَعَطَاءُ بنُ يَسَارٍ، وَمُوسَى بنُ طَلْحَةَ، وَعَبْدُالرَّحْمَنِ بنُ أَبِي لَيْلَى وَغَيْرُهُمْ.